رسالة يعقوب "الطريق إلى النضج الروحي"

١٥

الأصحاح الرابع

اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟ (إر ١٧: ٩)

المتابع للدراسة الأسبوعية سيجد أن هناك تناقض ضخم بين نهاية الإصحاح الثالث الذي يتحدث عن ثمر البر الذي يزرع في السلام مع الذين يفعلون السلام (٣: ١٨)، والانتقال مباشرة إلى الحديث عن الحروب والخصومات في بداية الإصحاح الرابع، ملاحظين أنه لم يتناولها أو يذكرها كحدث فردي عابر أو مشكلة شخصية ينوه عنها، بل كانت مرضا روحياً مزمناً ومتأصل الجذور بين المؤمنين المرسل لهم هذه الرسالة، وإذا استعرضنا الخطوط العريضة للإصحاح سنجدها:

١. مصدر الحروب والمخاصمات وعلاقتها بالصلاة (الأعداد ١ ـ ٣).

٢. صداقة العالم وخطورتها ومقاومة الله لها (٤ ـ ٧).

٣. الخضوع للرب، والنعمة والعناية الإلهية (٧ ـ ١٣).

٤. تحذير من التمرد على مشيئة الرب بعد أن نعرفها (١٤ ـ ١٨).

1. المخاصمات:

عدد ١: "من أين تأتي الخصومات والمشاجرات التي بينكم آلا تأتي من داخلكم، من شهواتكم التي تتعارك في أجسادكم دائما" (الترجمة العربية المبسطة).

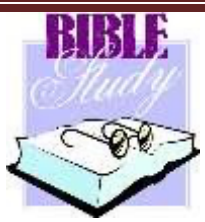

هناك بعض الآراء التفسيرية أن الرسول يعقوب كان يُلمح عن حروب وقلاقل سياسية شهدتها أورشليم آنذاك، ولكن هذه الرسالة لم تكن موجهة لمسيحي أورشليم بل للمؤمنين من اليهود الذين في الشتات (خارج أورشليم) (يع ١: ١)، وأيضاً يُرجح أن تاريخ كتابة هذه الرسالة يسبق أحداث الاضطرابات التي كانت في فلسطين.. إذن هو يتكلم عن أمور روحية بالأساس، ولعلنا نجد في سفر الأمثال ما يؤكد أن الخصومات تهيج النفوس وتشحنها بالغضب الذي يقود للمشاجرات فمثلاً "اَلرَّجُلُ الْغَضُوبُ يُهَيِّجُ الْخُصُومَةَ، وَبَطِيءُ الْغَضَبِ يُسَكِّنُ الْخِصَامَ" (أم ١٥: ١٨)، "شَفَتَا الْجَاهِلِ تُدَاخِلاَنِ فِي الْخُصُومَةِ، وَفَمُهُ يَدْعُو بِضَرَبَاتٍ " (أمثال ١٨: ٦)،"فَحْمٌ لِلْجَمْرِ وَحَطَبٌ لِلنَّارِ، هكَذَا الرَّجُلُ الْمُخَاصِمُ لِتَهْيِيجِ النِّزَاعِ" (أم ٢٦: ٢١).

ومنذ البداية نجد أن سفر التكوين يسجل أكثر من حادثة نزاع منشأها هو الخصام "فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ ...، فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ" (تك ١٣: ٧ ، ١١)، "فَخَاصَمَ رُعَاةُ جَرَارَ رُعَاةَ إِسْحَاقَ قَائِلِينَ: لَنَا الْمَاءُ" (تك ٢٦: ٢٠، ٢١)، وحتى في أيام خدمة الرب يسوع على الأرض دخل تلاميذه فكر من عسى أن يكون أعظم فيهم (لو ٩: ٤٦، مر ٩: ٣٤).

ثم بنظرة سريعة نجد أن الكنيسة الأولى كانت تعاني أيضاً من مثل هذه المشاكل، يعالجها الرسول بولس بكلماته المحددة حين يقول لكنيسة كورنثوس "فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ" (١ كو ٣: ٣)، ولكنيسة غلاطية "فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (غل ٥: ١٥). وفي فيلبي يرسل موصياً أن يحاولوا مساعدة أختين يبدو أنهما غير متفقتين في الرأي أو الفكر (في ٤: ٢). ترى ما هو السبب الحقيقي وراء الخصام والانقسام والمشاجرات والمشاحنات التي كانت ولا زالت تنشأ أحياناً بين الأخوة المؤمنين.

هناك قاعدة صحيحة أن التشخيص السليم للمرض عادة يقود أن يكون نقطة البداية للعلاج الصحيح.

١. في داخل كل منا تسكن الطبيعة القديمة الفاسدة يسميها الرسول بولس "إنساننا العتيق".

٢. الطبيعة القديمة هي مصنع للاضطراب الداخلي، وأعمال الجسد التي يذكرها في (غل ٥: ١٩)، "خصام تحزب... شقاق." وأكد هذا القول بقول الرب يسوع "لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ" (مر ٩: ٢١).

٣. يحدث صراع في داخل الإنسان بين الشر والخير حتى يصل إلى خلاصة القول: "فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ" (رو ٨: ٦ـ ٨، ٧: ٢١).

كيف ننتصر على هذه الطبيعة المحاربة في أعضاءنا؟

١. المسيح انتصر لحسابنا على الصليب وبموته وقيامته نستطيع أن نفرح قائلين مع بولس: "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير ايضاً بقيامته. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا يعود نستعبد أيضاً للخطية. فإن الخطية لن تسودكم ..."

٢. نحتاج أن نصدق ونؤمن بكلمات الرسالة "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ." (غل ٢:٢٠).

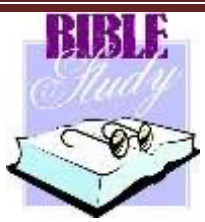

٣. مع أن العتيق مصلوباً تظل أعماله (تصرفاته) تظهر من الحين للآخر ولهذا نحتاج دائماً " أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ... وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ (أف ٤: ٢٢، ٢٤).

٤."وَأَمَّا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ.. إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ" (كو ٣: ٩ - ١٠).

نعم من حقك أن تفرح وبالروح القدس تميت أعمال الجسد (الطبيعة القديمة) فنحيا رومية ٨: ١٣، ونكون الآن اقتربنا من فهم ما قصده يعقوب بتعبير "لذاتكم المحاربة من أعضاءكم"، هذا التعبير الذي لم يُذكر إلا مرة واحدة هنا، وهو يعني الأمور الجسدية التي تقاوم عمل الروح القدس تلك الرغبات التي تشن حرباً هدفها هو إرضاء الذات (الطبيعة القديمة).. إذن الظروف والضغوط الخارجية ليست المصدر الحقيقي للتعب الداخلي.. ولكن لننتبه لكلمات المثل.. "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ." (أم ٤: ٢٣)، ونصلي طالبين أن نمتلئ بالروح للانتصار على ميول الطبيعة القديمة التي تظهر بين الحين والآخر.

عدد ٢، ٣: "تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ"

تريدون أشياء لكنكم لا تنالوها، أنتم لا تنالون ما تريدون لأنكم لا تطلبون من الله (الترجمة العربية المبسطة). كلمات تكشف عمق الشر الموجود في قلوبهم تجاه بعضهم البعض. ويتميز أسلوب هذه الرسالة بالجدية الشديدة، بل والصارمة أحيانًا، يواجههم بضعفاتهم كاشفًا ومشيرًا أن هناك رغبة قوية وشهوة طاغية للبحث عن أمور ترضي الذات (الأنا) حتى لو على حساب طاعة وتتميم وصايا الرب، ولكن الآبار المشققة لا تضبط ماء أبداً، ومن يشرب من ماء العالم يعطش أيضًا (إر ٢: ١٣، ويو ٤: ١٣).

أما الجسد الذي يقول عنه فهو الغيرة والمنافسة المُرة، بالرغم من الحماسة الشديدة. لكنهم لا يقدرون أن ينالوا ما يبحثون عنه. فالفشل والإحباط صديقا الأنانية والذات.

أما القتل الذي ينوه عنه فهو تعبير مجازي للإشارة عن البغضة "كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ ، وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ (١ يو ٣: ١٥، ٢: ١١).

طلبات غير مستجابة.... لماذا؟

"تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ" (يع ٤: ٣)

<u>لماذا لم تستجب صلوات هؤلاء المؤمنين؟</u>

وصل المؤمنون إلى حالة روحية ردية، اعتمدوا على أنفسهم محاولين إرضاء ذواتهم ولذاتهم ولاحظ معي زمن الفعل "يطلبون" المضارع المستمر أي هناك إصرار على إشباع رغبات الأرض. لهذا لم يستجب الرب لطلباتهم تماماً كما قال لشعبه حين أصر أن يصعد إلى الجبل ليحارب والرب ليس في وسطهم فانكسروا (تث ١: ٤٥) فمن يرعى الإثم في قلبه لا يستمع له الرب (مز ٦٦: ١٨).

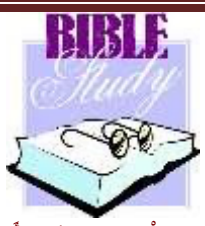

هل هناك أسباب أخرى؟؟ مَنْ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ صُرَاخِ الْمِسْكِينِ، فَهُوَ أَيْضًا يَصْرُخُ وَلاَ يُسْتَجَابُ (أم ٢١: ١٣، ومي ٣: ٤، وإش ٥٩: ٢، وأم ١: ٢٤ ـ ٢٨).

الصلوات المستجابة: ما هو السبيل إليها؟

١. الإيمان باسم ابن الله يسوع المسيح، والصلاة بحسب مشيئته.

٢. أن نطلب ملكوت الله وبره أولاً

٣. نأتي إليه واثقين أنه موجود ويجازي الذين يطلبونه

٤. وكل ما نطلبه حين نصلي نؤمن أننا ننالـه ويكون كل ما نطلبه هو لمجد الله (١ يو ٥: ١٣، ١٤، ومت ٦: ٣٣، وعب ١١: ٢، ومر ١١: ٢٤، ١ كو ١٠: ٣١).

الزنى الروحي

"أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ" (يع ٤: ٤)

قد يصدمك هذا التعبير " الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي" إلا أن المؤمنين من اليهود كانوا يفهمون المقصد الروحي له فقد كان تاريخ شعب الله في العهد القديم مملوء بمثل هذا المسمى فعلى سبيل المثال في سفر القضاة: "وَلِقُضَاتِهِمْ أَيْضًا لَمْ يَسْمَعُوا، بَلْ زَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا. حَادُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ" (قض ٢: ١٧) "فَصَنَعَ جِدْعُونُ مِنْهَا أَفُودًا وَجَعَلَهُ فِي مَدِينَتِهِ فِي عَفْرَةَ. وَزَنَى كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَرَاءَهُ هُنَاكَ،" (قض ٨: ٢٧)، "وَخَانُوا إِلهَ آبَائِهِمْ وَزَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةِ شُعُوبِ الأَرْضِ" (١ أخ ٥: ٢٥، ومز ١٠٦: ٣٩)ن إذن الارتباط بالأصنام في نظر الله زنى روحي "لأَنَّكَ قَدْ زَنَيْتَ عَنْ إِلهِكَ" (هو ٩: ١)، لأن الله اقترن بشعبه في القديم ومراراً كثيرة وصفه بالارتباط الزيجي "لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ" (أش ٥٤: ٥)، من أجل ذلك قال الرب يسوع "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ" (مت ٦: ٢٤)

ما معنى محبة العالم؟

هو اتجاه الارتباط بالعالم (صداقة، طرقه وقوانينه، وروحه) من يحب العالم معناه أن يكون إله هذا الدهر هو إلهه (٢ كو ٤: ٤)، أن يختار الإنسان اختياراً حراً أن يصادق العالم. أي كسر عهد الارتباط بالرب كإله وسيد. ويوجد لدينا أمثلة لمن أحب العالم الحاضر وترك التبعية الأمينة للرب ديماس (٢ تي ٤: ١)، وديوتريفوس الذي يحب أن يكون الأول، ويهذر بأقوال خبيثة على طرق الله التي يخبرهم بها يوحنا الرسول (٣ يو ٩).

والأمثلة كثيرة جداً.. نحتاج أن ننتبه نحن لأن محبة العالم عداوة لله، عداوة تبدأ من جهة الإنسان هو من يختار أن يدير ظهره للرب. ففي القديم وقف إيليا بجرأة قائلاً: ".. فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون... أما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يش ٢٤: ١٥). ماذا تختار أنت اليوم.

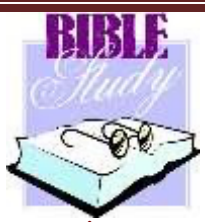

لا تنس أبدا أن "أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. ، وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ" (١ يو٢: ١٦، ١٧).

ثم ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (مت ١٦: ٢٦)، ولتكن دائماً يقظًا فلا تُشاكل (تتشبه) هذا الدهر (رو ١٢: ٢)، ولتكن عيناك دائماً على الرب الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر والشرير (غل ١: ٣).

<u>للدراسة والبحث الشخصي:</u>

١ في رسالة فيلبي ٤ تكلم بولس عن شرط للصلاة المستجابة. ما هو؟

(مز ٦٦: ١، إر ٢: ٥، مت ١٥: ٨، ٩)، تجمعهم فكرة واحدة درسناها معاً في هذا الجزء، ما هي؟

الطمع عبادة أوثان (كو ٣: ٥) ما هي خطورة هذا الأمر، وهل من علاقة بين هذا الشاهد ودراستنا؟

<u>الشاهد الكتابي للتأمل:</u>

"إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ" (١ يو ٤: ٢٠)

يمكنك ارسال أي مشاركات أو استفسـا رات إلى البريد الالكتروني sawsanmanse1@gmail.com

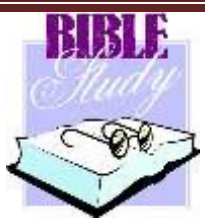
BIBLE
Study